

خطبة عن طعم الإيمان

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومن علينا بحلاوة الإيمان أحمده وهو الرحيم الرحمن وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صنوان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عبد ربه وأكمل الإيمان

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أهل الرضوان والتابعين ومن تبعهم بإحسان :

أما بعد: فتقوى الله تعالى خيرُ زاد، ونعم العدة ليوم المعاد، فاتقوا الله حيثما كنتم، وقوموا بالأمر الذي من أجله خلقتُمْ، (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ الْمُؤْمِنُونَ).

أيها المسلمون، حقيقة إيمانية ووثيقة ربانية ((ذاق طعمَ الإيمان من رضيَ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدَ صلى الله عليه وسلم رسولاً)) حديث شريف وقول منيف يزداد وضوحاً ورسوخاً بقوله عليه الصلاة والسلام : (ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكونَ الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذفَ في النار) متفق عليه

يا أهل الإيمان :

للإيمان طعمٌ يفوق كلَّ طعم، وله مذاقٌ يعلو على كلِّ مذاق، حلاوة الإيمان حلاوةٌ قلبية في نفسٍ رضية وسكينة مرضية، تسري سرَّيان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق،

الإيمانُ بالله هو سكينةُ النفس وهداية القلب، وهو منارُ السالكين وأملُ اليائسين وأمانُ الخائفين ونصرة المجاهدين، وهو بشرى المتقين ومنحة المحرومين.

وأولُ منافذ الوصولِ إلى حلاوة الإيمان وطعم السعادة الرضا بالله عزّ وتبارك ربًّا، مدبرًا، فهو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، رحمنُ الدنيا والآخرة ورحيمُهُما، قيومُ السماوات والأرضين، خالق الموت والحياة، مُسبِّغُ النِّعم، مجيب المضطرِّ إذا دعاه،

وكاشف السوء (أعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه: ٥٠]، سوى الإنسان، ونفخ فيه من روحه، أطعمه من جوع، وكساه من عري، وأمنه من خوف، وهداه من الضلالة، وعلمه بعد جهالة.

إيمانٌ بالله تستسلم معه النفس لربّها، وتنزع إلى مرضاتِهِ، تتجرّد عن أهوائها ورغباتها، تعبدُهُ سبحانه وترجوه وتخافه وتتبتّل إليه، بيده الأمرُ كُلُّهُ، وإليه يُرجع الأمرُ كُلُّهُ. رضاً بالله ويقين يدفع العبدَ إلى أن يمدّ يديه متضرّراً مخلصاً: "اللهمّ إنّي أعوذ برضاك من سخّطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك". من رضي بالله رباً رضي بقضائه وقدره حلوه ومره، من رضي بالله رباً انقاد لشرعه وامتنل أمره وابتعد عن معصيته، من رضي بالله رباً أقام الصلاة وءاتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت الحرام، ثم استقام.

وأما المذاق الثّاني - فهو - الرّضا بالإسلام ديناً، دينٌ من عند الله، أنزله على رسوله، ورضيّه لعباده، ولا يقبل ديناً سواه.

(اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)

الإسلامُ منبعُ الرّضا والضيّاء، ومصدرُ السّعادة والاهتداء.

لا يرتد عنه المؤمن سخطاً وتجاافياً عنه

ومذاقُ الحلاوة الإيمانيّة الثالث الرّضا بمحمّد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه رسولاً ونبياً. محمّدٌ النّاصح الأمين والأسوة الحسنّة عليه الصلاة والسلام، فلا ينازعه بشرٌ في طاعة، ولا يزاوجه أحدٌ في حكم، (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥]. الرّضا بمحمّد صلى الله عليه وسلم اهتداءً واقتداءً، وبسنّته استتذاءً وعملاً.

أيّها المؤمنون إذا صحّ الإيمان ووقر في القلبِ فاضَ على الحياة، كما في الحديث القدسي ((فإذا أحببته كنتُ سمعَهُ الذي يسمع به، وبصرَهُ الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذته)).

من ذاق حلاوة الإيمان طابَ عيشه وعرف طريقه، ومن عرف طريقه سار على بصيرة، ومن سارَ على بصيرةٍ نال الرضا وبلغ المني.

هل رأيتم - رحمكم الله - زياً أو منظرًا أحسن وأجمل من سمت الصالحين؟! وهل رأيتم - جنةً في الدنيا أمتع وأطيب من جنة المؤمن وهو في محراب المتعبدين؟! إنه ظمأ الهواجر ومجافة المضاجع، فيا لذة عيش المؤمنين. هذه حلاوتهم في التعبُد والتحنُّث .
أما رأيتم الحاج كيف يستعذب السفر إلى البيت الحرام ، ويبذل المال ويتعب البدن ويترك الأهل والوطن

أما حلاوتهم في سبح الدنيا وكدها وكدها فتلك عندهم حلاوة إيمانية، تملأ الجوانح بأقدار الله في الحياة، اطمئنان بما تجري به المقادير، رضا يسكن في الخواطر، فيقبل المؤمن على دنياه مطمئنًا هانئًا سعيدًا راضيًا مهما اختلفت عليه الظروف وتقلبت به الأحوال والصروف، أقبلت دنياه أم أدبرت ، فهو لا يحزن على ما فات، ولا يفرح بطراً بما حصل. إيمانٌ ورضاً مقرون بتوكّلٍ وثبات، يعتبر بما مضى، ويحتاط للمستقبل، ويأخذ بالأسباب، لا يتسخط على قضاء الله، ولا يتقاعس عن العمل، يستفرغ جهده من غير قلق، شعاره ودثاره: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) موقنٌ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، لو اجتمع أهل الأرض والسموات على نفعه بغير ما كتب له فلن يستطيعوا، ولو اجتمعوا على منعه مما قدر له فلن يبلغوا، لا يهلك نفسه تحسراً، ولا يستسلم للخيبة والحذلان، معاذ الله أن يتلمس الطمأنينة في القعود والذلة والتخاذل والكسل، بل كل مسارات الحياة ومسالكها عنده عملٌ وبلاء وخير وعدل وميدانٌ شريف للمسابقات الشريفة، جهادٌ ومجاهدة في رباطة جأش وتوكّل وصبر، ظروف الحياة وابتلاءاتها لا تكدر له صفاءً، ولا تززع له صبراً، ((عجباً لأمر المؤمن، وأمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، ولا يكون ذلك إلا لمؤمن)).

بالإيمان الراسخ يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والجزع والضجر، (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) لا مانع لما أعطى ربنا، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، وربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

حلاوة ورضا تقوم في حياة الكفاح على هذه الأصول والمبادئ، إذا أعطي تقبّل وشكر، وإذا مُنع رضي وصبر، وإذا أمر ائتمّر، وإذا نُهي ازدرجّر، وإذا أذنب استغفّر.

إنّ في حلاوة الإيمان ترطيباً لجفاف المادّة الطاغية، وحدّاً من غلواء الجشع والجزع، وغرساً لخلال البرّ والرّحمة، ومن ثمّ تنزل السكينة على القلوب، وتغشى الرّحمة النفوس، (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة: ١٥٧]، (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) [المجادلة: ٢٢].

اللهم اكتب في قلوبنا الإيمان وأيدنا بروح منك حتى نعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا .

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، أحمده سبحانه وأشكره، فضله مرتجى وفي عفوه الطمّع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منّ الخير وللمكروه دفع، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمّداً عبده ورسوله دعا إلى الحقّ وجاهد في الله وأشاد منار الإسلام ورفع، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل الإيمان والرّضا والتقى والورع، والتّابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد: فاتّقوا الله رحّمكم الله، فالسّعيد من خاف يومَ الوعيد، وراقب ربّه واتّقاه في ما يبدي وما يُعيد.

أيّها المسلمون،

مَنْ ضَعُفَ إِيمَانُهُ جَزَعٌ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَهَابَ السَّفَرُ لِأَنَّهُ لَا زَادَ لَهُ ، وَضَلَّ الطَّرِيقَ لِأَنَّهُ لَا دَلِيلَ مَعَهُ . فَيَا لَخَسَارَةِ الْمُسْتَوْحِشِينَ ، (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) [الزمر: ٢٢].
فَمَا أَعْظَمَ نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ هَدَانَا لِدِينِهِ ، وَحَبَّبَ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِهَ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَجَعَلَنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ فَضلاًّ مِنْهُ وَمَنَّةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .
أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، وَأَمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، وَأَطِيعُوا رَسُولَكُمْ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ .

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "يَا أَبَا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" ، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَفَعَلَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "الرِّضَا بِأَبِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَمُسْتَرَاخُ الْعَارِفِينَ ، وَحَيَاةُ الْمُحِبِّينَ ، وَنَعِيمُ الْعَابِدِينَ ، وَقُرَّةُ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ" .

رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولًا .

أَلَا صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ سَلَّمَ الْحَجْرَ عَلَيْهِ ، وَمَشَى الشَّجَرَ إِلَيْهِ ، وَسَمِعَ تَسْبِيحَ الْحَصَى بِيَدَيْهِ ، وَحَنَّ الْجَذْعَ إِلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ : (إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ...